حول أبجدية عربية مثالية

للدكتور أحمد سليمان
(عضو المجمع)

ما فتىء مجمع اللغة العربية الاردني ، منذ تأسيسه ، يواجه مشاكل شتى : يتلقى مصطلحات المعارف والمهاسبة والاقتصاد والمصارف والارصاد الجوية والتعليم الصناعي والزراعي والتجاري ... فتحيلها اللجان المتخصصة لتمحيصها وتسجيلها ، ثم تعرض على المجلس لاقرارها او تعديلها . هذا بالاضافة الى ما يترجم او يعرب من مصطلحات علمية وتقنية ، وبالاضافة الى ما يقوم على نقله الى العربية من كتب علمية جامعية .

ان مجمعنا يخوض معركة ، اعضاؤه فيها رفاق سلاح ، وانا خضم هذه المعركة أحب ان اتصور ان ما ينتجه هذا المجمع اللغوي انما هو اول الغيث : قطر ثم ينهمر ، او هو بالكورة انتاج غزير يتوالى كما ونوعا ، ويؤتي اكله دفعا للعربية الى صف اللغات العالمية الحية . وأحب ان اتصور ان الترجمة والتعريب والاستعارة والاشتقاق وتنمية الالفاظ وابتكار التعبيرات ستمضي قدما من اجل ان يبلغ عالمنا عصر نهضة فكرية زاهر . احلام يقظة اغرق فيها فيوقظني من حالمي اللغوية قصور الابجدية العربية ...

نقول للمطبعة : نريد ان يكون الكتاب العربي بمثل سهولة الكتاب الانكليزي الذي تُرجم عنه ؛ فيقول لنا الطابع : لا يمكن الا اذا تشابهت الحروف الى حد لا يفرّق بين النون والتاء ، ولا بين الياء والسين .

ويقول الزملاء في اجتماع المصطلحات : تُعَرَّب ، فيقولون : اجمل ، ولكن يعاد سؤال جماعة : هل نكتبها بالجيم أم بالكاف أم بالغين ؟ وهل تضم واوا بعد الميم ؟ وياء بعد السين ؟ ومشكلة تشكيل الحروف معروفة ، ومشكلة الهمزة معروفة ، ومشاكل الابجدية بمجموعها طرحت منذ نصف قرن ، وما تزال تُطرَح ، واقتُرِحَت لها حلول ، وحلول ما تزال تُقتَرَح . وقد وُضِع بعض هذه الحلول موضع التنفيذ ، فخفف حدة هذه المشاكل ، ولكن معظم الحلول قد رُفِض ، لانها لم تعالج جذور المشكلة ، او لم تكن حلولا تتمشى مع الاعتبارات الواقعية الموضوعية . فما دامت المشكلة ما تزال قائمة ، وما دامت تجابه مجمعنا ، فلن يضير احدا ان اطرح على صفحات مجلة المجمع الفاضلة حلاً جديدا عساه يحلّ بعض جوانب المشكلة ، او يكون خطوة صغيرة في سبيل الحل والكمال .

وابادر الى القول بأن الخط العربي بذاته لا عيب فيه ، فهو في الماضي قد وصل الى حد من الابداع جعل الكتابة العربية في قمة الفنون الجمالية الرفيعة ، وهو في الحاضر ضرب من الاختزال لا يخلو من فائدة ومزايا .

ولكن المشكلة انّ تطور الخط العربي مَرّ بجميع مراحله ، يوم كانت الكتابة يدوية ، ثم هو توقف عن التطور فلم يواكب حاجات الطباعة والكتابة الآلية ، اللتين هما اليوم من لوازم الحضارة . والطباعة والكتابة الآلية (اعني الآلة الكاتبة) تقتضيان اولاً اقلّ عدد ممكن من اشكال الحروف ، وثانيا ان تكون هذه الاشكال واضحة متميزة بعضها من بعض بيسر ، بعيدة عن مجال اللبس والابهام .

فالابجدية العربية تضم في الواقع ٢٨ حرفا ، ولكن لكل حرف عدة اشكال ، فهو منفصلا غيرُه متّصلا ؛ وهو في اول الكلمة غيره في وسطها او آخرها ؛ هذا بالاضافة الى ان بعض الحروف يتغير شكلها حسب الحرف الذي يتصل بها او تتصل به . وتقدر الاشكال المختلفة

للحروف العربية بأربعمئة وثمـــين شكلا . تسم ان بعض هذه الحروف متشابهة تفرّق بينهـــا بنقاط ، كالباء والتاء والثاء والنون والياء ، وكالجيم والشين ، والعين والغين ، والسـاد والضاد ، والطاء والظاء .

اضـــف الى ذلك ان لبعض الحروف اسنانا تزيـــد من الابس اذا انبرت ، وقد حافظت الحروف المطبوعة على هـــذه الاسنان ، رغم انها تطورت في الكتابة اليدويـــة .

فـــاذا ذكرنا ان بعض الحروف المتصلة تكـــاد تكون متسرة على سن ، فوقه او تحته نقطة او اكثر ، ادركنا احـــد الاسباب التي من اجلها قلّما نجد كتابا عربيا يخلـــو من اخطاء الطباعة ، في حين اننـــا نادرا نجد مثل هذه الاخطاء في كتاب انكليزي مثـــلا .

صفوة القول ان الحروف العربيـــة بحاجة الى تطوير يساير تراكيب متطلبات الطبعة والكتابة الالية . وقـــد يلوح في الافق حـــل يبدو للوهلة الاولى سهل التنفيـــذ ، هو ان نكتب كما تكتب الامم ، بحروف منفصلة . وهنـــا يتبدى لنا امـــر اخر في ان الحروف يجعل هذا الحل اصعب مما نظن ، ذلـــك ان بعض حروفنا تطول بامتداد السطر ، وهي آخذة في الطول قليلة المرض حتى لتزيد بعض الحروف المتصلة مجرد مُسدّة على السطر يجيزها من او اكثر . فلـــو كتبنـــا بحروف منفصلة ، اي اذا جعلنـــا حروفنا منفصلة ، ســـارت كلماتنا آخذة في الطـــول ، عديمة التناسق الى حـــد يتعذّر معه تشـــرا كلمة كلمة ، في حين انها ، في اللغـــات الاوروبية ، تتناسب بضع كلمات بنظرة واحـــدة .

وبهـــذا الصدد اشير فيما يلـــي الى طريقة اخرى من سبل الترجيح ، لا اليقـــين :

في اواخـــر العصور الوســـطى اخذت الطباعـــة تنتشر في اوروبا ، في زمـــن كانت فيه القوميات آخـــذة في التشكل والانفصال عن بعضها

الكتابة العربية الى اوروبا . ومع اشكال الاوميغا اخذت اللغات الاوربية تتلمس الكتابة وتحاول اثبات وجودها . وكيما تثبت اية لغة وجودها ، لا بد من ان تصير لغة مكتوبة ، اي لا بد لها من ابجدية ، وفي سبيل صياغة اول ابجدية اوروبية ، كان طبيعيا ان يلجأ اولئك الذين وقع الاختيار عليهم الى الابجدية العربية ، ذلك ان العربية كانت لغة التجارة والعلم والحضارة والفكر والتجارة ، والينبوع الذي ينهل منه كل دارس ، مكرها او مختارا . ويبدو لي انهم اخذوا بعض الحروف العربية ، واكتفوا بما وجدوها : اولا تمضي من اليسار الى اليمين ، ثانيا مع طريقتهم في الكتابة ، وثانيا تمتد راسيا لا افقيا ، اي انهم طباعة الحروف منفصلة .

والجدول التالي يبين بعض التشابه في الابجدية العربية والابجديات الاوروبية :

ء (الهمزة)	a	ض	D
ا	h	ط	q
ا	t	ظ	k
ح	ĝ	ع	l
خ	x	غ	n
ج	ĉ	ف	f

وسواء أنجح حدسي ام لم يصح ، بصدد اقتراح تطوير الحروف العربية ، جعلها تساير الواقعية تقنيات العصر الحاضر ، ولا سيما ان مجال الكمبيوتر ومجال الطباعة يستلزم الا تزيد اشكال الحروف من (٦٠) حرفا ، اري ان ناجيا في الطباعة الى الحروف المنفصلة ، وان نجعل بعض الحروف المستطيلة راسية لا افقية .

وفي تقديري ان اي تطوير لاشكال الحروف يجب ان يتوافر فيه ما يلي :

اولا : ان اي تعديل في اشكالها يجب الا يبعد بها عن حاضرها ، حتى لا نمسي وقد صارت قراءة هذا الحاضر امرا عسيرا . ويحسن ايضا الا نستبعد الطريقة العالمة في الكتابة اليدوية ، فهي ضرب

من الانفزال بطبيعي بالوف دارج ؛ ولكن اي تطوير في الاشكال الطباعية سيترك بالتدريج اثارا على الاشكال القديمة .

ثانيا : ان مقاييس الحروف ينبغي ان تكون بحيث تناسب العين الكاملة بنظرة واحدة ، لا ان تقرأ حرفا حرفا . وهذا العمل يحسن الاطلاع على ما جرى من دراسات عن استيعاب العين . ومن هذه الدراسات ما يشير الى ان العين تنظر الى أعالي الحروف اكثر من ان تكون مميزات الحرف في راسه ، كي تراه العين بسهولة .

فاذا نحن عزمنا على إحداث تطوير جديد في ابجديتنا ، ينبغي ان نجعل هذا التطوير يحلّ مشاكل اخرى تتعلق باللغة . واهمها ثلاث :

١ ـ مشكلة الحركات : اي الفتحة والضمة والكسرة والشدة والسكون . ارى ان تُطبَع حركة كل حرف بجانبه مباشرة ، لكي لا يحتاج الحرف نفسها حرفا مستقلا . والاشكال المقترحة لهذه الحركات جميلة ، فهي رقيقة دقيقة متميزة تؤدي وظيفتها وتبقى بعيدة عن الحروف الاساسية في اللفظة واضحة ، فيبقى الثلاثي ، مثلا ، ثلاثيا والرباعي رباعيا .

٢ ـ مشكلة الهمزة : وهذه ارى ان تُتخذ لها حرفا واحدا يدل عليها ، كما ان للباء والتاء وكل حرف اخر حرفا . والشكل المقترح واضح الدلالة يفي بالغرض . فإن قيل : لماذا لا نميز بين همزة القطع وهمزة الوصل ؟ او لماذا لا نتخلص من الهمزة على الالف او ياء او واو ؟ نقول : إن هذا امر يمكن ان يُتعلّم بالممارسة كما تُتعلّم الحروف الشمسية والقمرية او كما يُتعلّم الطالب ، دون ان يزل في الكتابة .

٣ ـ مشكلة الاصوات الاجنبية : اننا نعيش في عصر تكثر فيه الاسفار بين مختلف الثقافة الاجنبية والفكر الاجنبي ، وتتلاقح بها وبه من خير وشر . وترد علينا مع ذلك مصطلحات تتكرر فيها اصوات ليس لها مقابلات في العربية . فاذا عمدنا الى تحويلها الى اصوات

تلفظها . كما نحول (ا) الى بـــاء مثلا ، فقد نبعد بهـــا عن اصلها ، وقد نفقدها بعض دلالاتها . واذا جعلنـــا بعض حروفنا تخـــدم وظيفتين ، كما نفعل بالحرف (ج) اذ يؤدي وظيفتي الجيم الشاميـــة والجيم المصرية) وقعنا في لبس محير ؛ والحـــل ميسور هو ان ندخل في ابجديتنـــا حروفا تدل على ثلاثة اصوات يكثر تكرارها هي : ﺟ

(الجيم المصريـــة) ، ﭖ ، ﭤ .

تبقـــى اصوات اخرى كثيرة لا نجـــد ما يطابقها في العربيـــة ، ولكن تكرارها قليل او لدينا مـــا يقاربها . فان هي فرضت نفسها علينـــا فلا ضرر من اتخـــاذ الصوت مع الشكل الذي يدل عليه . وهنالك ايضا حـــالات اطالة ليس لهـــا مثيلات في العربية . ولا اجـــد في هذه مشكلة ، اذ لا ضير إن تغيرت بعض ملامـــح الالفاظ بانتقالها من لغـــة الى لغـــة .

الفاصـــلة :

مشكلة الميل التي ندعـــو الى الكتابة بحروف منفصلة ، ، على ان تعـــد الصوت رئيسيًا لا اضافيـــا ؛ والابجدية التي في ذهنـــي على مثل النموذج التالي :

حروف المد : ا و ي

الصوامت : ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص ض ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن ه

والاصوات المستجدة ﭖ ﭤ ﺟ

وهـــذه تكون بمجموعها (٢١) شكلا .

واسمح لنفسي انـــي جئت بفصل الخطاب او بما لم تات بـــه الاوائل ولا الاواخر ، بل اني اظن ان لـــو عرض رأيي على ذوي اختصاص فقد يجدون فيه ما يمكن ان يخرج منه ابجديـــة عربية اصلح . وليس المهـــم اشكال الحروف بذاتهـــا ، فما دامت متميزة واضحة ، ومـــا دامت مجرد تطوير للاشكال الدارجة ، فـــلا ضرر ولا ضرار .

ولكن الا تشوي الكتابة بحروف منفصلة على ما هي عليه في منظورة ؟ قد ينشأ ميل الى فصل حروف الجر والعطف وال التعريف من الالفاظ التي يتصل بها . وارى الا تشجع ذلك ، اذ ... الكتابة العربية واستبعادا للكلمات القصيرة التي تولدها ... وفي تقديري ان اثبات الحركات في الكتابة سيكون ... اللغة واستقرار الالفاظ على صيغ موحدة .

وبعد فانا على يقين ان هذا الذي اطرحه ، ... كما يقولون ، سيذهب كما ذهبت مقترحات الاقدمين ... النسيان . ولكن السنا نبذر البذرة فنسم اذا مر بعد حين ... من يجري ؟ لعل اقتراحا يكون بذرة ، ثم يصير ... فتصير شجرة ثمرها طيب وظلها ظليل .

د. أ...